عدد خاص
العلوم عند العرب

75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية - المجلد السادس - العدد الرابع ١٣٩٨ - ١٩٧٧ م

أقدم مخطوطة باللغة العربية في طب الأطفال

بقلم الدكتور

محمود الحاج قاسم محمد

الموصل ـ محافظة نينوى ـ العراق

المؤلف :

« ابو الحسن احمد بن محمد الطبري مَنّ علينا المؤرخون بترجمة وافيـــة بـابي الحســـن فاكتفى ابن ابي اصيبعـة (م ١ ص ٣٢١) بالقول انه كان طبيب الامير ركن الدولة ولم يأتي القفطي على ذكره ولكن احد المستشرقين (بروكلمن م ١ ص ٣٧٥) يذكر انه عاش بين سنة ٣٢٠ وسنة ٣٦٦ هـ . وهذا هو نفس التاريخ الذي ملك فيه ركن الدولة (راجع تاريخ دول الاسلام فصل ١٨٢) . واهمية هذا المؤلف تظهر لمن طالع كناشة(١) الذي سماه « المعالجات البقراطية » الذي قال فيه ابن أبي اصيبعة انه من أجل الكتب وانفعها ونحن نقر ابن ابي اصيبعة على هذا(٢) .

أهمية المخطوط :

ترائنا الطبي كبقية انواع التراث على نوعين نوع يجب ان نحمله معنا ونهتم به لانه يثرى مكتبتنا الطبية ويبعث الهمم في نفوس ابنائنا .

ونوع يثقل كواهلنا ولهذا يحسن بنا ان نهمله ونتخلص منه . وكتاب المعالجات البقراطية من النوع الذي يفيدنا ان نحمله معنا فهو حافل بالموضوعات القيمة وخاصة لانه يضم بين دفتيه القسم الخاص بعلل الاطفال وتدبيرهم ومداواتهم من الولادة وآداب الرضعة وتدبيرها .

ويتجلى اهمية هذا القسم والذي هو موضوع بحثنا :

اولا : من حيث كونه اقدم ما وصل لنا من كتابات الاطباء العرب والمسلمين في موضوع طب الاطفال باللغة العربيـة . اما كتاب الرازي في طب الاطفال والذي يعتبر اول مؤلف في هذا الحقل فلا يوجد منه نسخة باللغة العربية وانما يوجد منه نسخ مترجمة للعبرية واللاتينية والايطالية من النسخة الايطالية الى الانكليزية مؤخرا صوموئيل آكرمادبل ونشر في مجلة امراض الاطفال الاميركية سنة ٩٧١ (٣) .

وبالرغم من كون الطبري جاء بعد الرازي الا اننا لم نجد له اية اشارة لكتاب الرازي آنف الذكر فلا نعلم سبب ذلك اهو تجاهل له ام انه لم يطلع عليه واذا صح الاحتمال الاخير فانه يزيد الكتاب قيمة واصالة .

ثانيا ـ يؤكد المؤلف في مقدمته بانه لم يتكلم احد قبله في علاج الاطفال كلاما شافيا بل اعتمد الاوائل في ذلك على ان الطب علم وعلمه يشتمل على الاطفال وغيرهم في باب المعالجة ، ويمضي الطبري في تفنيد كلام البعض الاخر من كون معالجـة الاطفال من مقام الجزيئات من الامراض وعدولهم عن معالجة الاطفال الى معالجة المرضعات حتى يخلص الى حقيقة علمية نسجلها له بفخر الا وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج المرضعة وهذا على ما اعتقد يعتبر طفرة عظيمة في حقل معالجة الاطفال لم يسبقه بها احد .

ثالثا ـ نجد في المخطوط اول اشارة الى الحشرة المسببة لمرض الجرب كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد .

أبواب الكتاب (٤) :

جـاء في بداية الفهرست « من الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية في علل الاطفال وتدبيرهم ومداواتهم حين يتولـد وآداب المرضعة وتدبيرها وهي ستون بابا على هذه الترتيبات المذكـورة » .

الباب الاول في الجرب المعروف بالمرقه وفيه كلام عن انواع الامراض الجلدية التي تصيب راس الطفل والامر المهم في هذا الباب قوله « أعلم ان الجرب انواعه كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد واكثر حدوده للراس .... شـديد الوجـع شـبيه بالسمفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصـور ...»(٥) .

حيث يعتبره مؤرخو الطب مكتشفا لحشرة الجرب اذ لم

---

(١) « الكناش : هو لفظ يونانية معناه المعالجات في الراس الى القدم وجمعه الكناشات » المخطوط حاشية ص ١ .

(٢) مقتطف من كتاب مآثر العرب في العلوم الطبية للدكتور سامي حداد ـ بيروت ١٩٣٦ ص ٤٨ .

(٣) Amer. J. Dis. Child./Vol. 122 Nov. 1971 p. 372—376.

(٤) اعتمدنا في بحثنا على النسخة المخطوطة والمحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (١٤١) (١) طب والقسم الخاص بعلل الاطفال يقع ضمن مجموعة (الرسالة الاولى) من الكناش . والكتاب جميعه مع حواشيه بخط ناسخه كمال بن ظهيرالدين بن اختيار المتطبب الذي فرغ من نسخه سنة ٩١٣ م .

(٥) يراجع المخطوط حاشية ص ٥

كتاب المعالجات البقراطية

نسخة دار الكتب المصرية

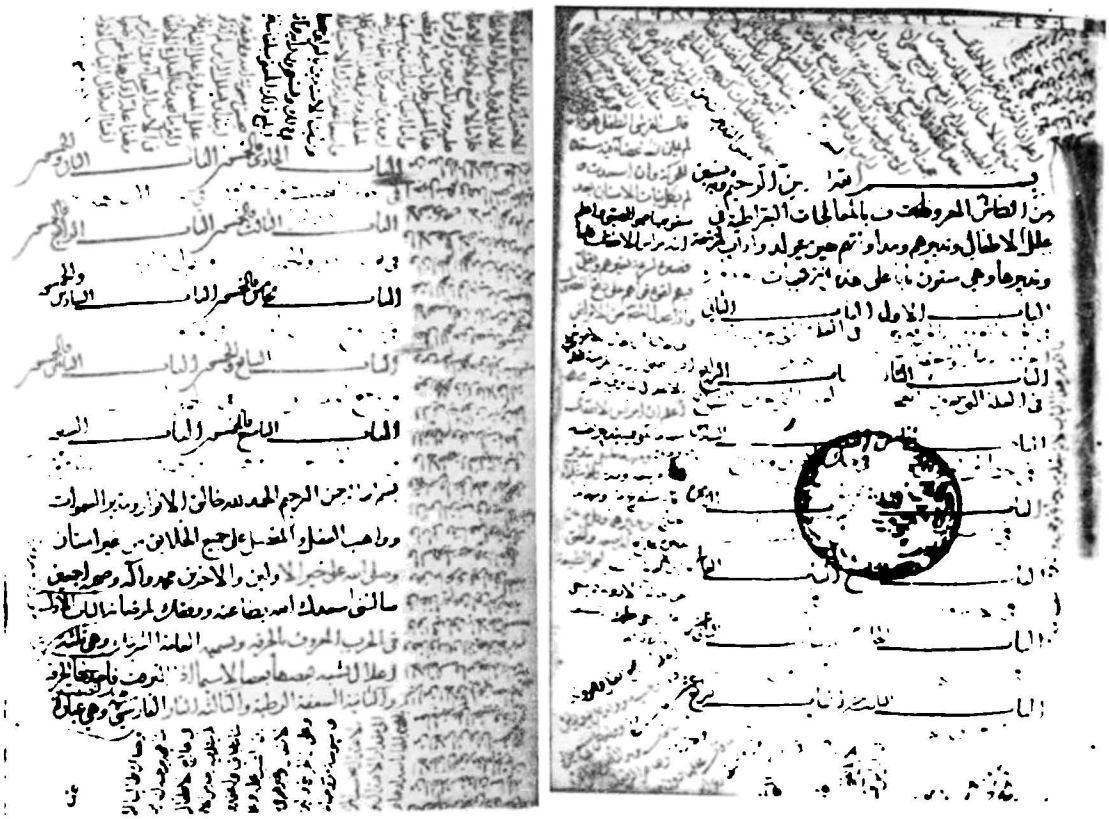

يسبقه احد من الاطباء في الاشارة الى ذلك . وفي الابواب السبعة الاخرى يذكر امراضا جلدية اخرى تصيب راس الطفل وانفه واذنه ويذكر فيها العلاجات اللازمة لكل منها .

اما الباب السابع فقد افرده للتحدث عن الصرع يقول في هذا الباب من جملة ما يقـول :

« فيتولد من بخارات غليظة رطوبية فيملأ بطون الدماغ من الطفل ويسد فلا يجري القوة النفاسية في مجاريها فيهتز لذلك الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع ومثل هـذه العلة اذا كانت بالكبار كان صرعا ويعسر تحلله في الكبار بـل لا يطمع في برؤه اذا كان فيمن على سنه وفي الاطفال يزول باهون سعي بسرعة ميلان طبايعهم الى ما يميلها اليه وسهولة قبولها »(٦) ثم يمضي في تعليل اسباب هذا المرض وعلاجه وعرض آراء بعض الاطباء في ذلك . ويتحدث في الباب الثامن عن العلة التي تعرض بالاصطكاك اي الكزاز الذي يحدث في الاطفال يقول في ذلك .

« مما يحدث في اقمام الصبيان علة تعرف بالاصطكاك ... وهـو ان يصطك اسنانه ويبرز عيناه ويحدث في سائر بدنه شبه بالاختلاج ولم ار طفلا حديث به هذه العلة نجا منها ..... ذلك هـو الكزاز ولا يكاد يحدث هذا بالطفل الا اذا كانت به جراحة خفيفة او ظاهرة »(٧) .

كما انه يقول عن الكزاز ايضا في الباب العاشر « الكزاز علة يحدث في الاطفال كثيرا وبالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة اطراف العضلات والاوتار ... » الى ان يقول « واذا ما استحكم واستكت اسنانه سمي ذلك الوقت الكزاز الضاغط ... وقلما يتخلص منه الطفل .. »(٨) ويذكر من اعـراض الكزاز « العينان ناتئتان وان ترى العليل كانه يبحث ويعرض له سهر وعسـر بول . واعلم ان كل آفة يحصل في الوتر والنخـاع والعضل .... وما يعرض له يعرض للدماغ ... »(٩) ونجد للطبري في الباب التاسع التفاتة جميلة حيث يقسم الاسترخاء في الاطفال الى نوعين مكتسب ووراثي ويؤكد عدم امكان معالج الاسترخاء الوراثي فيقول «في الاسترخاء ربما اصاب الطفل ... فينظر فان كان ذلك وراثة مثل ان يكون بابيه وامه استرخاء فلا حيلة فيه .... »(١٠) .

وفي الباب الثالث عشـر والرابع عشـر يتناول المؤلـف امراض الانف ويصف الجراحة في معالجة الزوائد اللحميـة في الانف وفي حالة عدم استجابتها للعلاج . اما الابواب السبعة التي تلي ذلك فقد خصها لامراض العين ومعالجاتها .

وفي الباب الثاني والعشرون يختصر الطبري اسباب البكاء في الاطفال في هذه الكلمات القليلة والتي تعني معنى علميا كبيرا فيقول : «اذا بكى الطفل دائما فهو لاحد اربعة اسباب اما لوجع في بعض اعضائه او لاحتباس اللبن في معدته او لشيء يؤذيـه في مضجعه او لقلة الغذاء وجوعه »(١١) .

وفي معالجة ذلك يوصي بعدم استعمال المخدرات للطفل بل يعالج السبب فيقول « فيجب ان يحذر من استعماله في الطفل يعالجه بحسب السبب»(١٢) . اما امراض الفم واللسان فيسردها في الفصول الاربعة التي تلت ذلك . اما الابواب الخمسـة الاخرى فينـاقش فيها الخرخرة في حلوق الاطفال وانطباق المرىء وتموج رقبة الطفل والعطاس ... الخ .

ولم نجد فيها ما يلفت النظر سوى قول في غاية الصحة « فاما الادوية التي تستعمل في الكبار فلا يصلح للاطفال البتة ولا تحتمله معدتهم ولا امزجتهم »(١٣) .

اما امراض المعدة والامعاء في الاطفال فقد خصـص له الابواب التي تلت ذلك حتى الباب الاربعين تناول فيها اورام المعدة والسرطان والاسـتسقاء واضطرابات الهضم والقرافر والرياح وانواع القيام (ويقصد بذلك الاسهال) وعـن الاسباب التي تجعل الطفـل يمتنـع عن شـرب الحليب وعن اللوى (المغص) في الاطفال .

اما الباب الواحد والاربعون فقد تعرض فيه للسـعال واسبابه وعلاجه وفي الباب الذي بعده يستعرض نفث الدم والرعاف واسبابه ويفرق بين الدم الذي يخرج من الصـدر والانواع الاخرى بان يخرج بالسعال وهذه حقيقة علمية تسجل للطبري .

اما الباب الثالث والاربعون فقد تكلم فيه عن الجدري والحصبة ووصف الطفح كل منهما على حدة وعلاج ذلك . والابواب الثلاثة الاخرى يتحدث فيها عن بعض الامراض الجلدية التي تصيب ذكر الاطفال وفخذه وجسـمه وينتقل الكاتب في الباب الثامن والاربعون لذكر الديدان الصغار والكبار حيث يقول « وقد يظهر في الاطفال في المقعدة ديدان صغار كانما رؤوس الابر بيض فيؤذي الطفل ويمنعه من النوم »(١٤) « وربما خرج مع براز الطفل ديدان طوال »(١٥) .

وفي الابواب التي تلت ذلك يتحدث عن خـروج المقعـدة وتورم الخصية وانواعه حيث يفرق بين ورم الخصية نفسها والفتق وكذلك عن رجوع القضيب والتهابه .

اما الابواب الثلاثة التي بعدها فقد خصصـها لامراض الجهاز البولي فيتكلم عن بول الرمل والحصا والدم وخروج شيء شبيه بالمني او اللبن .

وفي الباب السادس والخمسـون والسابع والخمسـون يبحث في تورم الاربتين (طرفي آلات التناسل) ووجع المفاصل . ويتكلم عن انواع الحميات في باب خاص وعلى طريقة سابقيه من المؤلفين العرب . وفي الباب التاسع والخمسون يتناول آداب الرضعة وتدبيرها . ومما تجدر الاشارة اليه في هـذا الباب قوله « اعلم ان احسن اللبن للمولود لبن امه لانه اشبه بجوهرها يقدم من غذائه في الرحم »(١٦) .

ويختتم كتابه في الباب الستين والذي افرده للتحدث عن كيفية العناية بالطفل وتدبيره من الولادة وكيفية تغذيته وتربيته حتى تثبت اضراسه .

---

(٦) المخطـوط ص ٩ .
(٧) المخطوط ص ١٣
(٨) المخطوط ص ١٥
(٩) المخطوط حاشية ص ١٥
(١٠) المخطوط ص ١٤
(١١) المخطوط ص ٢٣
(١٢) المخطوط ص ٢٤
(١٣) المخطوط ص ٣٣
(١٤) المخطوط ص ٥٤
(١٥) المخطوط ص ٥٥
(١٦) المخطوط حاشية ٦٦